السنة التاسعة والخمسون

ايار – حزيران ١٩٦٥

الالحان والتراتيل الارامية والعربية

في كنائس البلاد العربية الشرقية

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

لقد فرضت الأديان السماوية في مشارق الأرض ومغاربها التسابيح والتراتيل لله عز شأنه وجلت قدرته منذ نشأتها حتى يومنا هذا . وقد اقيمت وما زالت تقام هذه التراتيل والتسابيح طوال القرون وتعاقب الأجيال منذ أول دين سماوي حتى تعاقب الأديان السماوية الأخرى . فقد بدأت منذ عهد النبي موسى (ع) ثم أخذها عنه الأنبياء الذين خلفوه . فجاء داود النبي (ع) بمزاميره التي ملأت أول كتاب مقدس وجاء بعده ابنه سليمان فجاء بنشيد الانشاد . وهكذا تعاقبت الأجيال في تأدية التسابيح والتراتيل للعزة الإلهية تكريماً لقدرتها وتقديساً لجبروتها في المعابد والهياكل المقامة للرب خالق الكون وإلة البشرية . ثم جاءت المسيحية بعد عشرين قرناً فزادت في هذه التسابيح وأكثرت من هذه التراتيل والأماديح بعد ان شقت

طريقها الى عالم الوجود وكافحت طغيان الوثنية الغاشم الذي فتك فيها فتكاً ذريعاً دوّنه التاريخ بمداد من دم فصمدت صموداً جباراً وضحّت كثيراً اذ قدمت ملايين الضحايا حتى رسخت قدمها وأنقذت الانسانية من براثن الكفر والضلال . فشيدت كنائسها علناً بعد ان كانت مختفيّة تحت الأرض خوف الفتك والبطش وأقامت طقوسها الدينية فيها . فصارت تتلو صلواتها وتسابيحها وتراتيلها بألحان شجيّة علناً . وكان ذلك بعد القرن الأول للميلاد حيث ظهر في ذلك العهد خلفاء بطرس الرسول في انطاكية ، وهو اقرب الرسل الى السيد المسيح (ع) اغناطيوس النوراني الذي رأى رؤية في نومه ان العزة الإلهية قد تجلّت امامه كشكاة من نور تحيط به الملائكة من الجانبين وهي تسبّح وتمجّد جلاله على شكل جوقين من الألحان والتسابيح كل منهما يتلو النغم واللحن بدوره فاستيقظ مذعوراً مما رأى في حلمه فأنشأ الألحان والتسابيح في الكنائس لتمجيد الله وتسبيحه على شكل جوقين في القول الملحّن والرد المنغّم . وهكذا نشأت فكرة الألحان في تأدية الطقوس واداء فروض الصلاة في الأوقات المفروضة على المؤمنين المسيحيين وخاصة في أيام الآحاد والأعياد . ثم تطوّرت هذه الأنغام والألحان على مر السنين وظهر بين خدمها وهذّبها وأنشأ الألحان الخاصة المعروفة باسمه مما سيجيء ذكره ويرد تفصيله على توالي العصور والأجيال حتى عهدنا هذا .

ان من المؤسف جداً ان نذكر بأن هذه الألحان الدنيوية الدينية أي الأغاني السريانية والكلدانية قد فقد معظمها لعدم وجود (نوطة) في ذلك الزمن العريق في القدم لحفظها كما هي الحال في الموسيقى العربية وغيرها . وقد ظلت هكذا يتوارثها الأبناء عن الآباء حيث ضاع منها الكثير حتى قيام أحد الرهبان البندكتيين وهو الأب جانان في اوائل هذا القرن بجمع الألحان التي استطاع العثور عليها في بلاد الشرق العربي فوضعها في (نوطة) موسيقية في كتاب ضخم طبع بعد الحرب العظمى الأولى باللغة الفرنسية سماه (كتاب الألحان الطقسية السريانية والكلدانية) واسمه بالفرنسية :

Mélodies Liturgiques syriennes et chaldéennes, par Dom Jannan, o.s.b.

طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، جمع مسوداته قبل سنة ١٩١٤ ثم طبع حوالي سنة ١٩٢٠ وقد وضع له مقدمة فخمة عن هذه الالحان وتطورها وهذه مقتطفات منها قال : ان الالحان الكنسية التي تستعملها الكنائس الشرقية السريانية والكلدانية خاصة موسوعة كبيرة من الالحان الكنسية وهذه الالحان لم تأت فجأة انما نمت وترعرعت في محيطها . ولنا براهين على ذلك لتأكيد هذا الرأي . ففي

(البيث كازو) أي بيت الكنز أو دار الخزائن الذي يحتوي على جميع الالحان الكنسية المستعملة في يومنا هذا لحن مشهور أو نغم مشهور يسمى (التوقويو) أي التواق وهو الفخاري. ففي استدارة دولاب الفخار ألف نغماً يناسب حركة دولاب فخاره فألف مدرسة وصار له تلاميذ يلحنون الحاناً دنيوية فانتبهت الكنيسة هذا اللحن الشهير وادخلته في صلواتها كي تؤثر على المؤمنين بطريقة عصرية فنية .

اين هي الالحان السريانية ؟

ان مؤلف الكتاب المذكور أعلاه الأب جانان البندكتي بحث كثيراً عن الكتب التي تحتوي على الالحان السريانية وبالطبع فان هذه الالحان كائنة في كتاب نسميه (البيث كازو) الذي ذكرناه آنفاً غير ان هنالك تفاوتاً في قدم (البيث كازوات) الموجودة حالياً . فاستند المؤلف على (البيث كازو) الكائن في دير القديس مرقس في القدس الشريف الذي يرجع عهده الى القرن الثاني عشر الميلادي . و(البيث كازو) هذا آت من دير سيدة السريان في مصر كما هو مذكور على هامش الكتاب . وقد يتساءل القارئ أو المستمع كيف وصل هذا الكتاب القيم من مصر الى القدس فالمؤلف يجيب على هذا السؤال بأن دير القديس مرقس كان مركزاً هاماً للسريان في القدس وبما ان المسيحيين يحجون الى المدينة المقدسة فلا بد من ان يهدوه الى هذا الدير . ويستند المؤلف كذلك على (بيث كازو) آخر موجود في مكتبة دير الشرفة . ولقد لاحظ المؤلف ان بعض الالحان الكائنة فيه مفقودة فجاء الى نواحي الموصل وحصل على بعض الألحان التي كانت مفقودة (راجع ص٦ : ٧ من مقدمة الكتاب المذكور).

ولا يخفى على السامع أو القارئ ان المؤلف لم يحظَ بأي نغم منوط في الكتب المذكورة فاستعان برجال الدين الشرقيين المتضلعين بالموسيقى الآرامية فأنشدوها أمامه مراراً وتكراراً كي ينوطها على الطريقة العصرية فأتى كتابه هذا خدمة للعلم اذ انه انقذ هذه الألحان من الضياع والفقدان .

اقسام الالحان السريانية

تقسم الألحان السريانية الى ثمانية ولقد وضعها البطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم في كتابه (اللؤلؤ المنثور) بان منها الحار والبارد والرطب واليابس . ومنها اللحن المطرب والمحزن والمذلل والمنبه والمنشط . واليكم اشهرها :

١ — الباعوث ومعناها التضرع والباعوث شعر موزون قديم صقل مع الزمن فبلغ مرتبة عالية من الدقة والرقة. وقد اجاد السريان في تلحين الباعوث . فبرغم ان لكل متطوعة ثماني ألحان فللباعوث وحده ستة عشر لحناً يؤدونها بخفة ورشاقة .

ويعبرون فيها عن العواطف المكنونة في الصلاة . والباعوث يستعمله السريان ايام الآحاد والأعياد وفي ايام الاسبوع الاعتيادية وأشهر المقطوعات تعود الى القديس يعقوب السروجي ومار افرام السرياني والقديس بالاي ولكل منهم وزن خاص به.

٢ ــ الأقوال الشهرية وتؤلف الأقوال المجموعة الثانية في الموسيقى السريانية الكنسية . ومعنى القال بالسريانية الصوت وهو يعني ايضاً شعراً شعبياً ازدهر في القرن الخامس الميلادي . وان الفخاري سمعان القواق وبالسريانية (قوقويو) اشتهر في هذا النوع من الشعر واللحن كما مر بنا في مقدمة الكلام . وان شهرته الواسعة بلغت الشاعر الكبير يعقوب السروجي المسمى (قيثارة الروح القدس) فقام وقصد الشاعر العامل الفخاري واقتبس من نظمه مما رفع من شأن الفخاري سمعان هذا وهكذا نشأ نظم ولحن كنسي عرف باسم الفخارين (الفوقويو) ونشأ بجانب هذا القول اقوال اخرى كثيرة تستعمل على مدار السنة ولكل منها ثمانية ألحان وأنغام ويربي عددها على الخمسين .

٣ ــ المداريش ويرقى المدراش الى عصر السريان الذهبي والقديس افرام هو الذي ألبس المدراش حلة بهية ومنحه شعبية منقطعة النظير .وقد سبقه الى المدراش برديصان وتلامذته لنشر تعليمهم المغلوط فانبرى مار افرام لتعليمهم وحاربهم بسلاحهم المدراش الذي بلغ أوج الشهرة نظماً ولحناً والمدراش هو المجموعة الآرامية الأولى التي خلفت المجموعة اليونانية السريانية التي تؤلف اليوم نشأة كتاب الصلاة الفرضية السريانية وأضاف على هذه المداريش يعقوب السروجي واسحاق الانطاكي.

٤ ــ المعانيث وهي ذات صيغة مزمورية ومعناها الأجوبة . والمعانيث ليست منظومة الوزن وهي أقرب الى النثر منها الى النظم على شكل مقطوعات صغيرة يتخللها (ردة) في الوسط .

٥ ــ التخشفتات ومعناها الصلاة أو التضرع الى الله . ان استعمال التخشفت قليل في الطقس برغم ان لحنها متطور تطوراً كبيراً وأكثرها مأخوذ من مؤلفات (رابولا) الرهاوي المتوفى عام ٤٣٥ م . والقسم الآخر على ما يبدو انه مأخوذ من تأليف مار افرام . ولقد كان لهذا اللحن نجاح عظيم في حينه ولا يعرف السريان في ايامنا هذه سوى أربعين لحناً منها مع انها كانت تربي على الخمسمائة لحن . وهنالك ألحان أخرى آرامية سريانية تستعملها في المناسبات الكنسية . ويبقى كثير من المقطوعات مجهولة اللحن برغم وجود كلماتها وهذا هو الحال في الموسيقى العربية اختها اذ لم يكن لدى السريان (نوطة) لحفظ الألحان كما هو اليوم . (راجع ص٨ــ٢٧ من كتاب الألحان الطقسية السريانية والكلدانية للأب جانان البندكي)

وجاء في كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للمثلث الرحمة اغناطيوس افرام الأول برصوم ما نصه بعنوان :

في الموسيقى الكنسية

رضي أئمة الدين ادخال اللحون الى بيعة الله لأسباب ثلاثة أولها : مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع التي حاولوا بها افساد قلوب الناشئة عقيدةً وآداباً فعارضوها باشعار جزلة دينية قضت على الاشعار الفاسدة . وثانيها : الاستعانة بها على النشاط في عبادة الله ودفع الملل عن المصلين اثناء تلاوة الفرض المطول . وثالثها : تنبيه الحواس الى ادراك معاني الصلاة لأن المصلين اذا ما ترنموا أو سمعوا الترتيل استوعبوا معاني ما يرتلون . وكان ذلك اسرع الى اذهانهم وأرفع في نفوسهم وأعمق وادعى الى الخشوع . وكان للأئمة في هذه الطريقة أسوة بداود النبي صاحب المزامير وجوقته المرتبة فجروا في ميدانه وعلى نهجه صنعوا ألحاناً لها نغم حسنة مؤلفة بعضها الى بعض على نسب متعارفة وذلك بعد المجمع النيقاوي . وأول من شدا بها عند السريان القديس افرام وعند اليونان القديسون غريغوريوس النزينزي فقورلس الاورشليمي فاياونيس الذهبي الفم وتابعهم السريان مار اسحاق ومار رابولا ومار بالاي وجماعة الفخارين فالقديسون يعقوب السروجي وسويروس الانطاكي اليوناني ويعقوب الرهاوي وناظمو التراتيل المسماة بالقوانين عند اليونانيين ونقلتها وغيرهم من احتذى مثالهم على تراخي الأيام . فصاغوا الألحان وأحكموا صنعتها وتفننوا فيها فوقعت خير موقع وبلغت من المصلين كل مبلغ لأن جل فروضنا السريانية منظومة شعراً . قال العلامة انطوان التبريتي : ان الذي دعا مار افرام الى نظم الأغاني الروحية والميامر (جمع ميمر) هو ان برديصان كان قد نظم أغاني وقعها على لحون لذيذة ضمنها اقوالاً تفسد المعتقد القويم والأخلاق فعلقت بأذهان الشبان السذج فجاء مار افرام بالأغاني النقية القدسية فتغلبت عليها ومن هنا نشأ الترتيل الكنسي المقدس . وكان القديس غريغوريوس اللاهوتي ايضاً قد نظم اشعاره نقضاً لضلال الآريوسيين ودحضاً لما قام به القيصر يوليانس الجاحد . وقال ابن الصليبي : ونظم مار سويريوس المعانيث رداً على الشعراء وأغاني سوسطيوس اليوناني . والف مار اياونس (السطيخارات) نقضاً لأغاني الآريوسيين التي كانوا يصطادون بها الأغرار وعلى هذه الصورة دخلت القوانين والبواقي الى البيعة . ثم يقول صاحب اللؤلؤ المنثور : واتخذ السريان واليونان الألحان ثمانية من الأول الى الثامن وسميها « اكاديا » ثم يذكر صفاتها الحار والبارد كما مرّ بنا سابقاً ثم قال ويتناوبون منها في كل اسبوع نغمتين متقابلتين فالأول يقابل الخامس

وهكذا جعلوا لكل عيد وموسم مشهور لحناً خاصاً به ينطبق عليه كل الانطباق . وقال القس يعقوب الماردیني في كتاب دعوة القسوس في الألحان الثانية (الأول والخامس للأفراح والثالث والسابع للأحزان والرابع والثامن لجهاد الشهداء والثاني والسادس المذلل) هذا ما ورد في الباب التاسع والأربعين (ص ٢١٦) من كتاب مجموع اصول الدين للشيخ الرئيس مؤتمن الدولة ابي اسحق ابن الفضل بن العسال القبطي . اما كتاب دعوة القسوس فمفقود الاّ اربع قصائد في الخمرة الإلهية وجدت في بيروت . قال صاحب اللؤلؤ المنثور : وأما مؤلفه فأحسبه من كتاب القرن الثاني عشر . وتخيّروا لها الأصوات الطيبة الرخيمة وجعلوها بين صفين يتناوبان ترتيلها ويتراجعان . وأقاموا للصف رأساً يراعي نظامهما من أحذق الكهنة او الشمامسة وأمهرهم في الألحان وحسن الايقاع والمساوقة من نتائج تناسب الأصوات فبلغوا فيها من الأحكام الغاية .

واشتهر من رؤساء الصفوف في حدود سنة ١٢١٨م الربان ابو الفرج ابن اليشاع كان حاضر الذهن كثير الحفظ يحفظ عن ظهر قلبه فتقيث الفروض على ما ذكر ابن العبري في تاريخه الكنسي (ج١ = ص٦٣٧) .

وأبدع ألحاننا وأحسنها صوغاً وأحكمها صنعة التخشفتات والقاشمات والمعبرانات والمداريش وهي من صدور الأناشيد وأوائلها ولأكثرها مدات وليات وعطفات ونبرات وما اليها وها شجا ورقة وذهب للسريانيين بها صيت وذكر وخصوصاً أهل ديار بكر وأثرها وهم يأخذونها بطريقة التقليد . ولما لم يقيدوها بعلامات وضوابط ذهب الدهر بقسم صالح منها . غير انه ابقى بقية كافية (انظر كتاب معرفة الفصاحة لأنطون التكريتي . المقصد الأول من المقالة الخامسة (ص ٧٦ — ٧٩) والفصل الرابع من الفصول العشرة لابن الصليبي رداً على الشماس يشوع (ص٧٤— ٧٥) وكتاب الكنوز ليعقوب البرطلي الفصل (٣٨) من المقالة الثامنة وكتاب الايثيقون — أي حسن الأخلاق والآداب — لابن العبري ص ٦٥—٧٢) .

وهنالك كتاب الفرض الاسبوعي وفيه الفرض اليومي على مدار الاسبوع ويعرف بالاشحيم أعني البسيط وهو كتاب وسط مؤلف من صلوات وأناشيد في عدة ابواب اشتملت على التسبيح والتوبة وذكر العذراء والرسل والآباء والأنبياء والشهداء والموتى . وكلها موزونة . وقد جمع هذا الكتاب على الأرجح في اواخر المائة السابعة للميلاد بعناية مار يعقوب الرهاوي على ما ورد في نسخة محفوظة في خزانة باريس كتبت في القرن الخامس عشر الميلادي . وهنالك قراءات الكتاب المقدس وقد عينوا منها قراءات فصول يتلونها على مدار السنة بأنغام خاصة منها ما يخص ايام الأفراح ومنها ما يخص ايام الأحزان ولكل منها نوع من الصوت الموسيقي

المفرح والمحزن بالنسبة لما يناسب المقام. وهنالك الليتورجية والنافورا وأصلها آنافورا وهما لفظتان يونانيتان يراد بهما صلوات القداس الإلهي وخدمته . وقد عم استعمال الثانية عند السريان فأفاضوا في تصنيعها الى حد الاغراق فأكثروا عددها حتى بلغ عددها زهاء الثمانين بين مطولة ووسطى وصغيرة . وينسب قسم منها الى بعض الرسل والقديسين وأئمة النصرانية الأقدمين والبحث فيها يطول اذا اردنا تعداد كل منها والى من تنسب وانما يراجع في ذلك كتاب (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية لاغناطيوس افرام الأول برصوم المبحث الرابع ص ٧٩—٨٧) وهنالك فناقيث الآحاد على مدار السنة وهي جمع فنقيث ومعناها صلاة الفرض وهي عديدة يطول شرحها وتفاصيلها وهي من جمع وترتيب مار يعقوب الرهاوي المتوفي سنة ٧٠٨م كما اسلفنا وقد سردها باسهاب كتاب اللؤلؤ المنثور في البحث الخامس ص ٨٨—٩٢ . وخلاصة القول ان الطقس الشرقي المتبع في الكنائس الشرقية العربية والذي نجهل مؤلفه بصورة قاطعة بدئ بجمعه في صدر المائة السابعة حتى اواسط المائة الثانية عشرة الميلادية واشترك كثيرون بتأليفه الى ان بلغ الشكل الذي هو عليه اليوم. وقد أبقت لنا الايام نسخاً شتى من مجلدات الفروض وأكثرها على رقوق وبعضها على كاغد مكتوبة بالقلم الاسطرنجيلي النفيس من القرن التاسع الى الثالث عشر الميلادي وهي محفوظة في لندن وباريس وبيطن وكنائس ديار بكر وطور عبدين ودير الزعفران ومار مرقس والرها والموصل وغيرها وغيرها . ولا نعلم ما اضاعت الحرب الاولى والثانية منها وما بقي . وقال صاحب اللؤلؤ المنثور في صدد (البيث كازو) ان السريان جمعوا اناشيدهم وتسابيحهم البيعية في كتاب ضخم اطلقوا عليه اسم (بيث كاز) اي مخزن الألحان وهو يحتوي على اربع وعشرين مادة ونوع وهذه هي اذكرها برمتها اتماماً للفائدة :

١ — صلوات الفرض الاسبوعي المعروفة بالاشحم .

٢ — مجاميع المقالات التي تسمى السهرية لانشادها في عنفوان امرها في اثناء السهرات او من قبل جماعة يعرفون بالساهرين (شوهري) وكان دأبهم العناية بترتيب مواقيت الصلاة ورتبتهم من الرتب الصغرى بعد المرتلين وهم ينقادون الى امر رئيس الشمامسة (الاركذياقون) .

٣ — المداريش : اي الاناشيد الافرامية وكان عددها خمسمائة ضاع معظمها وبقي منها مائة وسبعة .

٤ — التخشفتات : اي الابتهالات وهي ثلاثمائة وقد وجد منها مائتان وخمسة واربعون والمشهور ان ناظمها هو مار رابولا مطران الرها المتوفى سنة ٤٣٥م وان اختلفوا في مؤلفها .

٦ ــ الغنيزات : وعدّها بعضهم اثنين وسبعين وغيرهم ثلاثة وثمانين ومائة وتسعة عشر .

٧ ــ المعبرانات : اي المراجل لتشييع الموتى وعددها مائة وسبعة ولابن قيق واحد منها كما جاء في (البث كاز) في كنيسة مار جرجس بدمشق تاريخه سنة ١٥٦٤ م .

٨ ــ الشوباحات : وأعني التسابيح وترتل في اثناء تناول الاسرار المقدسة .

٩ ــ السطيخونات : وتستعمل خاصة في طقس الميرون ورسامة الاحبار وهي من تصنيف مار فولس الاورشليمي المتوفي سنة ٣٨٩م .

١٠ ــ الاستيخارات : وهي من وضع مار اياويذس الذهبي الفم .

١١ ــ الاعقاب او الفردات وهي واحد وثمانون ولها ردة احياناً تسمى (كوراخا) ترتل في بدء صلاة المساء وفي قومات الليل .

١٢ ــ ترانيم الطواف على مدار السنة : وردت في (بيث كاز) شرقي فقط محفوظ في خزانة برفكهام (عدد ٣٢١) .

١٣ ــ السوغيثات : وهي على البحر السباعي .

١٤ ــ الزومارات : وعددها سبعمائة وثمانية وعشرون ويلحق بها قنغامات التهاليل وهي قطع ملتقطة من المزامير وهذه كلها مجهولة المؤلف .

١٥ ــ العنيانات وعددها سبعة وثلاثون وكثير منها لمار افرام وقد وردت في النسخة المحفوظة في بطريركية السريان الارثوذكس بدمشق وعددها خمسة وخمسون.

١٦ ــ القاتسمات : اعني المجالس وعددها مائة وسبعون وخصصوها بالآحاد والمواسم على الغالب وقيل انها نقلت من اليونانية وقد جاء في (بيث كاز) في قرية باتي بطور عبدين انها مما دبجته يراعة مار افرام .

١٧ ــ المعانيث : وتنيف على ثلاثمائة وسبعين منها مائتان وتسعون صاغها مار سويسريوس الانطاكي والباقي نسجها يوحنا بن افتونيا ويوحنا بسالطس وغيرهما واشتملت كتب الالحان على طائفة منها . ولبرصوم المعدني مفريان المشرق المتوفي سنة ١٤٥٤م معنيث في الخاطئة .

١٨ ــ القوانين اليونانية : وهي على ثمانية ألحان مما حبره يعقوب الرهاوي واندراوس التكريتي وقزما ويوحنا الدمشقي وبعضها من نسج شعراء آراميين ولها تقليدان رهاوي وملطي وعددها ٤٣ قانوناً وأبياتها ٧٥٠ .

١٩ ــ البواعيث : وهي مختارات القصائد التي حبرها مار افرام ومار اسحق ومار بالاي ومار يعقوب الملفان ويلحق بها التبرات .

٢٠ ــ الكوروزوثات : مما نظمه بالصنعة بعض المتأخرين سيما داود الحمصي

ومسعود الزازي لينشد امام الأحبار قبل تلاوة الانجيل لكنها اهملت بعدئذٍ .

٢١ ــ طقوس الأيام الحافلة .

٢٢ ــ الشملايات الشرقية : وهي ادعية وتضرعات للعزة الإلهية .

٢٣ ــ ادعية شتى .

٢٤ ــ الكلندارات والخرونيقون : وهي التقاويم الخاصة بالأعياد التي لا تتغير ايامها على مدار السنة . ومن اقدم نسخ كتب الألحان وأنفسها وأوسعها نسخة في خزانة دير الشرفة عدد ١/٥ جمعت فادعت ونسخة ضخمة نادرة كانت في دير مار ابراهيم بمذيات وقد فقدت في الحرب العظمى الاولى. وفي الخزانة البطريركية للسريان الارثوذكس بدمشق نسخة جامعة للمداريش وغيرها .

(راجع اللؤلؤ المنثور المبحث الثالث عشر بعنوان : في كتب الألحان البيعية ص ١١٤ ــ ١١٨) .

الألحان الموسيقية في الطقس الكلداني

أما ألحان الطقس الكلداني فقد جاء في المحاضرة التي القاها الدكتور في العلوم الشرقية الأب قرياقوس موسيس في المؤتمر الموسيقي العالمي المنعقد في رومة بمناسبة السنة المقدسة سنة ١٩٥٠ من ٢٥ ايار حتى ٣١ منه وكانت آخر جلسة في المعهد الموسيقي الحبري والتي كان عنوانها الموسيقى الطقسية الكلدانية : The Chaldean Musical Liturgies ان للكلدان ستة وعشرين قالا ولهذه القالات ستة ألحان فقط وللكلدان كذلك المداريش والمعانيث كما لهم ما ذكرناه في الطقس السرياني سوى هذا الاختلاف بعدد القال وعدد الألحان الا ان الألحان تختلف بالطبع في الصوت والنغم . وقد انتقل اللحن الكلداني بطريقة شفهية كاللحن السرياني مما ادى الى قيام ألحان متعددة بحسب المناطق والبيئة . ان اللحن الكلداني ذو طابع بسيط اي انه خالٍ من مصادر عربية لبعد الكلدان عن ثقافة العرب بحسب رأي الموسيقار باريزو الفرنسي .

وقد بقي اللحن الكلداني كما كان في اقدم العصور دون تطور . ولنا ان نقول ان المسيحية بعد ما دخلت في البلاد العربية حصل تطور كبير في الطقوس الكنسية. وبالأخص الطقس السرياني حيث كان معظم العرب وخاصة الفاسنة وجزء كبير من المناذرة على الطقس السرياني فاستبدلت اكثر التعابير السريانية بالعربية لقربها منها عندما اخذت اللغة السريانية بالتضاؤل ولم تبقَ لغة التكلم مع الزمن فحلّت محلّها اللغة العربية وبقيت السريانية سجلاً للصلوات الدينية فقط كما هي الحال اليوم . وعلى هذا فان اكثر التراتيل والتسابيح تتلى بالعربية اليوم

بألحانها المألوفة وبالمقامات الشرقية المعروفة التي منها الرست والصبا والنوى والسيكاه والاوج والمنصوري والنهاوند والدشت والديوان والعربيوني وغيرها ومنها المفرح والمحزن والمطرب والمذلل وغير ذلك بحسب المناسبة والفروض الطقسية . وقد أحسن المجمع المسكوني صنعاً بقراره هذه السنة بالسماح بتأدية الواجبات والفروض الدينية للطوائف المسيحية الكاثوليكية في العالم كل طائفة بلغتها الخاصة وعلى هذا فقد تصبح هذه الفروض في يوم من الأيام عربية صرفة في جميع كنائس البلاد العربية مع الاحتفاظ بلغاتها الدينية القديمة في مناسبات خاصة حرصاً على نسيانها واندثارها. اما الآلات الموسيقية المستعملة في الكنائس الآن فهي : الارغن والصنج والأجراس والنواقيس والكمنجة في بعض الحالات الخاصة والبيانو في الاحتفالات والأعياد الكبيرة حيث يقوم الشمامسة مع القسس بهذه التراتيل والألحان وهم نخبة منتخبة من ذوي الأصوات العذبة والأنغام الشجية . ونكتفي بهذا القدر وان كان هذا الموضوع يتسع لمجلد ضخم في تتبع تاريخ هذه الألحان التي تقام تكريماً وارضاءً لله تعالى ذي الجلال والاكرام .